قصة للفتيات من إصدارات حملة ركاز الإعلامية الثانية عشرة   قصة مستوحاة من الواقع   بقلم : أ / سهام خالد العامر

أنا وجارتي

rekaaz.com



أنا وجارتي

قصة مستوحاة من الواقع بقلم : **أ / سهام خالد العامر**

أترقب الباب وعيني دامعة منكسرة ولساني يلهج بالذكر والتسبيح والدعاء، أشعر بالضيق وبمرارة تكاد تخنق أنفاسي، وقفت بجانبي تربت على كتفي
وتقول : إن الله كريم، لطيف. أعطف على مقولتها قائلة بداخل نفسي دون أن تسمعني: وغفور، وغفور، وغفور

بهذه الكلمة الكريمة أخذتني مخيلتي لتنقلّني إلى أحداث وقعت معها أوصلتها إلى هذا المكان.

اسمي "جود" ويقال لكل إنسان من اسمه نصيب إلا أنني لا أظن أن هذه القاعدة تنطبق عليَّ، إن كانت هي فعلا قاعدة، عمري عشرون عاما، في المرحلة النهائية من الجامعة... أعيش في عائلة لها نصيب وافر من المال والنسب، وفي كنف والديّ اللذين لا يردون لي طلبا، لا يهمني أحد، وكم من مرة جلست أمي تحدثني بهذا الخصوص، ولكن لا أعير لها بالا أو أعيرها اهتماما، وذلك لأنني أتعامل مع الآخرين دون احترام، مع رغبة مني بإشعارهم بالدونية، ليس في قاموسي للتعامل مع الناس شيء اسمه توقير، لي قائمة من الأسماء تعاني من ذلك (الخادمة، السائق، عامل النظافة، البائع، حامل الأغراض في مراكز التسوق، وبعض من صديقاتي). دائما في الصباح يستقبلني عامل النظافة بالتحية، أشرع بالتلفظ بكلمات جارحة مسيئة، وألقي بقاذورات سيارتنا وآمره بكنسها وأكافئه بعدها بكلمة تحقر من شأنه، ودائما أبرر ذلك بأنها تنم عن قوة الشخصية وحضورها... بل طاولت هذه المعاملة جارتنا "أم يوسف".



ذات مرة خرجت مسرعة إلى الجامعة فرأيت سيارة جيراننا تقف خلف مركبتنا، أخذت خطواتي تتسارع نحو بيتها وضغطت على جرس الباب ولم أرفع يدي إلى أن أتت بنفسها تتأسف وتقول: ابنتي "جود" قطعت حديثها بصوت عال تصاحبه كلمات لا تليق بمقام امرأة وجاره، فما بالك وهي الأكبر مني سنا. صرخت في وجهها ونهرتها ألا تعود بفعلتها تلك مرة أخرى. ومن ذاك اليوم وأنا أرد صنعها لي بنفس الطريقة تجاهها، ولكن الغريب في هذا الأمر أنها لم تتقل ما أفعله تجاهها لوالدتي. ودائما أعزي نفسي إذا كان نفسها طويل فنفسي أطول وسنرى الغلبة لمن؟ وذات يوم بلغ بي الأمر مداه فطلبت أن توقف سيارتنا خلف سيارتهم مباشرة، ما دمت سأعود اليوم من الجامعة عصرا، وأخبرت صديقتي أن تأخذني معها إلى الجامعة، وبهذه الطريقة سأعلمها من أكون.

وبعد يوم جامعي، عدت إلى البيت، وأنا أحدث نفسي يا لها من امرأة حديدية، ولكنني لن اجعلها تفوز علي أبدا. دلفت إلى البيت أنادي على والدتي، وإذ بالخادمة تستقبلني بخبر عن أخي أحمد. لقد سقط أخي عن دراجته وأخذته إلى المستشفى، صرخت من هول الخبر، وهاجمت الخادمة بالأسئلة التي كانت ترد عليها بكلمتين، لا أدري.

خرجت مسرعة إلى المستشفى ويداي ترتعشان، وعيناي دامعتان، وقلبي يخفق يكاد يخرج من جسمي، يعلن عن خوف داخلي. ما الذي سأواجهه الآن. أخبرتني موظفة الاستقبال أنه في قسم العناية الفائقة.... العناية الفائقة لم تخبرني أمي أنه في هذا المكان... يا الله... حتما حالته حرجة، أركض مسرعة أريد أن أحصل على إجابات لأسئلة دارت في عقلي منذ أن خرجت من المنزل. وصلت وإذا بالعائلة موجودة خلف باب العناية الفائقة أقول بصوت عال: أممممممي... أحمد كيف حاله؟ لماذا هو في هذا القسم؟ متى حصل الحادث؟ ترفع عينها وهي تنظر نحوي ولم تنطق ببنت شفة. أنفاسي تتسارع أرتعش أرتعد، خفت وشعرت بضعف شديد، أمي تبكي، وأبي يعلو وجهه الوجوم، والصمت الخانق يكاد يقطع حياتي. أخبرتني الممرضة أن الطبيب المعالج في الداخل منذ ساعتين، يحاول إيقاف النزيف، في هذه اللحظة فوضت أمري إلى الله سبحانه.



وقفت أمام الباب أترقب إما حياة أو موت لا ثالث لهما . "لطفك يا الله". أكاد أختنق، لحظة الانتظار متعبة وشديدة على النفس.

سرت نحو أبي وقلت له: أبي كيف كانت حالته عندما نقلته إلى هنا ؟

رفع نظره إليّ وقال: لم آت به " أمك" والجارة " أم يوسف" نقلتاه

قلت: " أم يوسف" وما دخلها في ذلك ؟

قال: لن أنسى صنيعها ما حييت، لقد نقلتهما بسيارة زوجها المسافر، لأن سيارة بيتهم لا تعمل. دار رأسي مما سمعته، وانقلبت نفسي نحو الضعف والانكسار كيف لا تعمل سيارتهم وبالأمس رأيتها تترجل منها ومعها أكياس التسوق. رفعت رأسي نحو الأعلى أريد أن أستنشق هواءا باردا بعد أن تكممت نفسي من هول ما سمعت، رأيتها من بعيد تمشي بكل تواضع، تحمل كيس الطعام والشراب، ركضت نحوها وأخذتها بالأحضان، وعيناي باكيتان خجلتان تتأسفان على أفعالي... آسفة " أم يوسف" آسفة ترد عليَّ : تظلين ابنتي التي لم ألدها . أخذتني بيدها الدافئة وقالت نحتاج الآن للدعاء لأخيك الصغير.
وها أنا أترقب.. وها هو الطبيب يرسم ابتسامة لن تمحي صورته من مخيلتي، الحمد لله اجتاز أخي محنته، وأنا أيضا اجتزت محنتي التي آمنت بأنها منحة من الله.

عزيزتي القارئة... لقد خرجت من هذا الحدث بدرس لن أنساه، وهو مهما كنا صغارا أو كبارا فقراء أو أغنياء، لا نخرج من دائرة (حسن التعامل والاحترام مع الناس) فعلا... لن أحترم ذاتي قبل أن أحترم غيري، وسأنهي قصتي بكلمات ووصية من رب السموات.
" وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً "


أعلنت
احترامي

أعلنت احترامي

تقديراً لذاتي

